معنى الغفران

«وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى «جُمْجُمَةَ» صَلَبُوهُ هُنَاكَ مَعَ الْمُذْنِبَيْنِ، وَاحِدًا عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ. فَقَالَ يَسُوعُ: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ ...» (لوقا ٢٣: ٣٣ و٣٤).

تأليف: ادي كلور

لم يذكر كُتَّاب الأناجيل الكثير عن تلك اللحظات المرعبة التي فيها سُمِرَ الرب على الصليب، بل لمحوا إليها فقط. أعطى كل منهم مذكرة خاطفة تتراوح طولها بين كلمتين إلى أربع كلمات. على سبيل المثال، قال لوقا: «... صَلَبُوهُ هُنَاكَ ...» (لوقا ٢٣: ٣٣). إذ تخطى النصوص المقدسة التفاصيل المروعة والشنيعة لتصل إلى ما عمله يسوع وقاله عندما كان على الصليب.

نقرأ عن سبع عبارات قالها يسوع من على الصليب. تكلم إلى الله في الصلاة ثلاث مرات، وتكلم إلى الذين كانوا حول الصليب أربع مرات. تكلم إلى الله في صلواته عن الذين كانوا يصلبونه (لوقا ٢٣: ٣٤)، وعن إحساسه بالوحدة (متى ٢٧: ٤٦)، وعن استلام روحه لله (لوقا ٢٣: ٤٦)، عندما تحدث إلى الذين كانوا حوله، تكلم إلى اللص الذي كان بجانبه، إذ أعطاه رجاء الفردوس (لوقا ٢٣: ٤٣)؛ وإلى أمه ويوحنا الرسول طالباً من يوحنا أن يعتني بها (يوحنا ١٩: ٢٧)؛ وإلى شخص لم يرد اسمه كان تحت الصليب والذي استجاب إليه عندما طلب ماء ليشرب (يوحنا ١٩: ٢٨)؛ وإلى العالم كله عندما أعلن عن تكميل عمله بكلمات النصر التالية: «قَدْ أُكْمِلَ» (يوحنا ١٩: ٣٠).

كانت إحدى العبارات الأولى التي نطق بها يسوع من على الصليب هي من صلواته الثلاث. كان يسوع يصلي كان يوم في حياته، فمن الطبيعي أن نتوقع انه يصلي خلال ساعاته الأخيرة {على الأرض}. طلب من الله في صلاته الأولى هذه أن يغفر للذين صلبوه. الذين درسوا هذه الصلاة بدقة يعتبرونها إحدى أجمل العواطف التي تم التعبير عنها في الصلاة على الاطلاق. صلى يسوع بالفضيلة التي كان يوصف بها قلبه قائلاً: «يَاأَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لوقا ٢٣: ٣٤).

يحتمل أن يسوع نطق بهذه صلاة الشفاعة أثناء تسمير يديه وقدميه على الصليب، أو ربما بعد ذلك بقليل. ربما قدم هذه الصلاة مراراً وتكراراً، لأن الفعل الذي ترجم إلى «فقال» في إنجيل لوقا ٢٣: ٣٤ ورد بصيغة الماضي الناقص {في اللغة الأصلية، أية اليونانية} (إلجين ἔλεγεν) مما يدل على استمرار العمل في الوقت الماضى. أي بعبارة أخرى، كانت تلك رغبة يسوع المستمرة وفعله ليصلي من أجل غفران الذين كانوا يوقعون به أشد الآلام.

عندما وُضع يسوع على خشبة الصليب وثُبتت أداة التعذيب على الأرض في الحفرة المعدة لها، بدأ المشاهدون يدورون حول تلك الصلبان. أتى البعض ليروا بصمت المشهد الغريب لأُناس معلقين على الصلبان، بينما جاء آخرون ليمطروا يسوع بشتائم (متى ٢٧: ٣٩، ٤٠). كانت رائحة الموت في الجو، وحمل النسيم رائحة دم الناس الكريهة.

يبدو انه عند إبتداء هذه المأساة (عندما توقع يسوع الموت المؤلم الذي كان في انتظاره) بدأ ينطق بهذه الصلاة، في أعظم عمل النعمة عرفه الإنسان على الاطلاق، كان يسترجع أنفاسه ويستمر يشفع للذين كانوا يصلبونه.

صلاته هذه لا تُنْسَى أبداً ما دام العالم باقي. فهي لا

تعطينا بالمضمون تعريفاً للغفران فحسب، بل وتعطينا أيضاً أبعاد جميلة للغفران بالمثل الذي قدمه إياه.

تحدث يسوع عادة عن الغفران خلال خدمته الشخصية (راجع على سبيل المثال إنجيل متى ٦: ١٤ و١٥)؛ ولكنه عندما نطق بهذه الصلاة على الصليب، قدم بذلك بيان بالعمل بطريقة لا تُنْسَى. كان يسوع يعتبر أن روح التسامح صفة ضرورية للحياة الروحية. لقد أوضح بالمفهوم الضمني أن هذه الصفة للقلب يكشف عن قلب الله أكثر من أي سلوك أو ميزة أخرى.

يحدث الغفران الحقيقي عندما يقرر الشخص االمتآذي انه لا ينطق في ما بعد بكلام مُسِيء أو يقوم بعمل مضر أو يتمسك بفكرة مشؤومة ضد الشخص الذي أساء إليه. من اللحظة التي قدم فيها يسوع هذه الصلاة دخل في العالم عصر جديد للحياة الفائقة – عصر التنوير الروحي بما يختص بالمعنى الجديد للغفران.

علاوة على ذلك، سيعرف العالم دائماً أبعاد الغفران لأن يسوع قدم هذه الصلاة. لن يكون للعالم عذراً عندما يتمسك بالبغض. لقد أطلقت صلاته هذه الغفران في جميع الاتجاهات، كما لو كان ذلك منشوراً، جاعلاً نور محبته السماوي يشع من كل زاوية.

لنقترب بخشوع تستحقه ذبيحة مخلصنا المقدسة وننظر بحرص في صلاته. سيلاحظ جوانب الغفران المتعددة والمنعكسة فيها.

أولاً: لاحظ البُعد الداخلي للغفران. توضح صلاة يسوع أن الغفران في بُعده الإنساني ينبغي أن يبدأ من قلب الشخص قبل أن يخرج إلى من ارتكب الخطأ. تشير هذه الصلاة أن الشيء المهم ليس ما يرتكبه الآخرون تجاهنا، بل نوع الموقف نحوهم وما ارتكبوه ضدنا.

يبدأ الغفران بصدر رحب بما يختص بالخطأ الذي أُرْتُكِب ضدنا ومن قام به. هو السلوك الذي يقول: «برغم شناعة ما فعلته ضدي إلا انني لا أحسبه عليك. سأطلق هذا العمل الشنيع مثلما يطلق الشخص عصفوراً من القفص بلطف ليجعله يطير. لا أسمح في ما بعد لما فعلته ضدي أن يقف بيننا عندما أنظر إليك. سأمح ذلك من كتاب أعمالك. سأغفر لك وأبدأ أُصلي من أجلك».

لقد تم الإساءة إلى يسوع بكل طريقة يمكن التفكير بها. اتهموه بتهم كاذبة وأدانوه بمكر وصلبوه بوحشية. في كل سوء المعاملات التي واجهها في كل حياته بقى قلبه خالي من أية خطيئة؛ ومع ذلك صلبوه وكأنه أسوأ نوع من أنواع المجرمين. برغم كل هذا، إذ كان يسوع يفكر بالذين أخطأوا إليه، رفع صوته لله طالباً منه أن يغفر لهم. لم يرد الصاع بصاعين ولا اللوم بلوم ولا الشتيمة بأخري. لم يستجب إلى انتقاداتهم اللاذعة. بدلاً من أن يؤنبهم، غطى جرائمهم السوداء وقلوبهم الشريرة برأفته.

عندما يخطيء أحد الينا، تكون تلك الخطيئة مشكلته مع الله. وسلوكنا نحو المذنب ونحو خطيئته هو مشكلتنا أمام الله. أرجو ألا يكون عندنا حقد عندما نقف أمام الذي أحبنا حتى بذل ابنه ليموت من أجل خطايانا.

ثانياً: لاحظ البُعد الخارجي للغفران. تظهر صلاة يسوع في بُعد العلاقة بان التسامح يعبر إلى جهة المسيء ويتحداه بالنظر إلى جمال الغفران. انه يخرج من قلوبنا ويتوجه إلى قلوب الذين أخطأوا إلينا. قد لا تؤثر في المذنب، ولكن في أغلب الأحيان يكون ذلك.

عندما يخطيء إليك أحد ما تعلم أن المأساة تحدث في قلب ذلك الشخص: تعرف ذلك بسوء سلوك الذي يسيء إليك. انه يطلق ندأ الاستنجاد بأعماله هذه. يعبر كلامه أو أعماله الشريرة بـ«أنا في مشكلة. لقد سمحت للخطيئة أن تسيطر على حياتي. أريد أن يدلني شخص ما يشبه الله. قد حُوصِرْتُ في فخ وادي الموت، أريد أن يريني شخص ما السبيل إلى الحياة! هل هناك من يرحمني ويراني كيف أتعامل مع الناس في هذا العالم؟ هل هناك من يساعدني لأصلح حياتي؟» عندما تستجيب إلى الشخص الذي أخطأ إليك بمحبة ورأفة وإحساس، يكون قد تعاملت مع أكبر مشاكله. الاستجابة إليه بالمحبة هي أعظم عمل للنعمة يمكنك عمله.

هل سيشعر الشخص الذي أخطأ إليك برأفتك؟ عادة ما ييكون ذلك. من الذي ينظر إلى وجه من قال: «لقد غفرت لك كل شيء»، ولا يتأثر تأثيراً عميقاً؟ ولكنه وإن لم يتأثر بمحبتك لا تزال استجابتك لخطيئته صحيحة. هذه هي الطريقة التي يتعامل بها يسوع مع الإساءة، وهذه هي الطريقة التي يجب لنا نحن أيضاً أن نتعامل

بها مع الإساءة. لماذا نبدي الرحمة؟ نفعل هذا بسبب من نحن، وليس بسبب ما نظن انه قد يحدث للشخص الآخر عندما يرى اننا قد غفرنا له.

الغفران هو احد أجمل التصرفات التي قد تكون للشخص نحو الآخر. وهو أحد أعظم العطايا يمكنك أن تعطيها لإنسان آخر.

حُكم على إستفانوس ظلماً، وأُدين بغير عدل. رُجم بالحجارة بسبب حياة البر. أُنْتُزِعَت منه الحياة في عمر مبكر، وأخذ من أسرته ومن الكنيسة. ومستقبله أيضاً أُنْتُزِع منه بوحشية من قبل أناس مملوؤين بغضاً. فماذا فعل بخصوص الجريمة التي ارتكبت ضد حياته؟ الخطيئة التي ارتكبوها هي مشكلتهم مع الله، ولكن موقفه عما كانوا يفعلونه به كان مشكلته مع الله.

ذكر إستفانوس ما فعل يسوع في حالة مشابهة لهذه وإستجاب إلى الرعاع الغاضبة بالمحبة والغفران والرحمة. بينما كانوا يرجمونه بحجارة جثا على ركبتيه تحت رجماتهم وصلى من أجلهم، قائلاً: «يَارَبُّ، لاَ تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ» (أعمال ٧: ٦٠). بالموت بمثل هذه الروح النبيلة قدم للعالم نظرة لقلب الله الذي لا ينسى. قال شخص ما: «لو لم يكن إستفانوس قد صلى، لِمَا كرز شاول». لا يمكن لأحد أن يرى غفران صادق ويستخف به - ليس ولا حتى أسوأ مضطهد في التاريخ. فوح روح الغفران الذي كان لإستفانوس برائحة جميلة في العالم تدوم إلى نهاية الزمان.

ثالثاً: لاحظ عامل الغفران المتجه إلى أعلى. تظهر الصلاة أن الغفران في بعده الإلهي ينغبي إرساله إلى الله في الأعالي. بدأ يسوع صلاته بالعبارة «يَا أَبَتَاهُ ...». رفع صوته في تضرع إلى الله.

الغفران شيء يتم في قلب الله فقط. عندما نخطيء، نخطيء إلى الله. بعد ما نخطيء لا يسعنا إلا أن نقول مع داود: «إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ ...» (المزمور ٥١: ٤). الله هو الذي خلقنا، وهو قاضي سلوكنا الاخلاقي الحقيقي. جميع الخطايا هي في آخر المطاف خطايا مرتكبة ضده. إن لم يتم تصحيح سجلنا، سوف نقف مذنبين ومدانين أمامه - بغض النظر عن الغفران الذي أظهره آخرون نحونا. نستطيع أن نغفر للآخرين ما فعلوه ضدنا، ولكننا لا نستطيع أن نمحي خطاياهم. الله وحده يفعل هذا.

أوضح يسوع في صلاته الروح الصحيح للذين صلبوه. صلى من أجلهم، وترك الأمر لله كي يغفر لهم. لم يتم الإجابة لصلاته هذه بصورة كاملة حتى يوم الخمسين. في ذلك اليوم أصبح ثلاثة آلاف شخص مسيحيين إذ أطاعوا الإنجيل (أعمال ٢: ٣٨-٤٧)، الذين لا شك أن البعض منهم كانوا قد صرخوا قائلين: «اصْلِبْهُ! اصْلِبْهُ!» (لوقا ٢٣: ٢١). غُفرت لهم خطاياهم إذ عملوا بخطة الله للخلاص. أظهر يسوع السلوك الصحيح عنهم في صلاته، ولكن لم يغْفَر لهم حتى استجابوا لشروط الله للغفران.

لا يمكننا أن نقرر سواء كان الله سيغفر للذين أخطأوا إلينا أم لا، ولكننا نستطيع أن نبسط لهم روح الغفران. هذا ما قاله يسوع، وهذا ما يجبرنا المثل الذي قدمه على أن نعمل.

كل مرة يخطيء فيها إلينا أحد، لنتذكر صلاة المخلص من أجل الذين كانوا يصلبونه: «يَاأَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ ...» (لوقا ٢٣: ٣٤).

❖-❖-❖-❖-❖

«عندما يوضع المجرم على الصليب، تسمر يديه بالمسامير. وفي العادة يقوم المتهمون بسب وشتم والبسق على الذين يقومون بالاعدام، ولكن يسوع صلى قائلاً: يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ (لوقا ٢٣: ٣٤). وفي لحظة الألم الشديد رُفع الصليب وثُبت في موضعه بالضحية معلق عليه».

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩